دمعـــة دار العلوم

على الفقيد الكريم ، والملك العظيم ، المغفور له

صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

للشاعر الكبير الاستاذ علي الجارم بك

جَلَلٌ هزَّ كُلَّ ركنٍ وهدَّا ومصابٌ رمى القلوبَ فأردْى
كلُّ صدرٍ به أنينٌ ووجـــدٌ مُرْسِلٌ خلْفَه أنيناً ووجـــدا
عبراتٌ مَن ساكبٍ ليس ترْقَا ووَجيبٌ من خافقٍ ليس يَهْدَا
ونشيجٌ أقضَّ من مضجَع الليـــل ، وماجَتْ له الكواكبُ سُهدا

***

فزِعَتْ مصر فزْعةً طار فيها كلُّ عقل عن الرشاد وندّا
هرِعت ساعةَ الوداع تُفيض الدم معَ بَحْرًا ، وتُرْسلُ الشوقَ وَقْدَا
أُمَّـــةٌ هالها المصابُ ، فهامت تستحثّ الخُطَا شيوخا ومُرْدَا
خرجت من خِبائها كلُّ خَوْدٍ لم تُقنِّعْ رأساً ، ولم تُخْفِ خدّا
أعْجلَتْهَا مصيبةُ الوطن المفْـــجُوعِ أن تَحْتَبِي وأن تتردّى
زُمَرٌ تلْتَقِي على الحُزْنِ واليأْ س ، وحَشدٌ باكٍ يزاحم حَشْدَا
وبِحارٌ من الأناسيّ ماجت مُزْبِداتٍ ، يَجِشْنَ جَزْراً ومَدّا

وجبالٌ تسير فى يوم حشر ... كلُّ فِندٍ تراه يتبع فِندا
فوقَ سطح البيوت كالنمل ، فانظر ... ثم إياكَ أن تحاولَ عَدّا
كل بيت قد عاف أحجارَه الصُّمَّ ، وأضحي دما ولحما وجلدا
والميادينُ كلُّها أمم تُزْ ... جَى كما تُكدَسُ السحائب رُبْدَا
فإذا شئتَ أن ترى الأرض أرضاً ... كنتَ ممَّن يحاولُ الأمرَ إدّا
نفسٌ واحدٌ جميعاً ، وقلبٌ ... لفؤادٍ يَئِزُّ شوقاً وصَهْدَا
ودعاءٌ يمر بالصدر برْقاً ... فإذا انسابَ منه أصبح رعدا
خشوعٌ من الجلال تراءى ... وجَلالٌ من الخشوع تبدّى
حملوهُ ، وإنَّما حملوا آ ... مالَ شعبٍ بزهرها الغضِّ تَندّى
حملوا حامِيَ الحقيقةِ والدِّي ... ن كما تحملُ الملائك عهدا
ملوا كوكباً أشعَّ على مِص ... رَ سَنَى مُبصِراً وهدياً وسعدا

* * *

ما على الدهر مرةً لو توانَى ... أو على الدهر مرة لو تهدّا ؟
نفحت ريحُه أزاهيرَ آما ... لِ مَلأْنَ الوجودَ مِسكا ونَدّا
وعَدت كفُّه على دوْحةِ كا ... نت تَمُدُّ الظلال فى مصرَ مَدّا
وجدت مصرُ فى ذَراها سَلاماً ... وطوت فى ظِلالها العيشَ رغدا
قد نَعَيْنَا فرداً به كان عصراً ... وفقدنا عصراً به كان فردا
دولةٌ أهدت الكواكبَ نوراً ... وأنافتْ على الكواكبِ بُعْدا

علَّمتْ كل مالكٍ : كيف تُرْعَى أمٌ حاطها الملوكُ وتُهْدَى

✡ ✡ ✡

رفع الشرقُ رأسَه بفؤادٍ ونضا عنه يأسَه ، فاستَجدَّا
ومضَى يسبقُ الخواطر وثبًا وجرَى يُجْهِد الأمانىَّ وَخْدَا
وأتت كلُّ أمة ترتجى مصـ ـرَ وِداداً ، وتنهل العلم وِرْدَا
كعبةٌ حجّت الوفودُ إليها تستحثُّ الركاب وفداً فوفدا
حفزتها لعرشِ مصرَ أمانٍ بنشيد الوَلاء والحبِّ تُحدَى
فرأت حزمَ جاهدٍ لن يُبارى ورأت جُهـد حازمٍ لن يُحَدَّا
أبصَروا المُلْكَ فى جلالةِ معنا ه يُباهِى السماءَ عِزًّا ومجـدا
أبصَروا دولةً ومُلكاً كبيراً ومِراساً يُعيِي الزمانَ وجُهدا
همةٌ تفْرَعُ النجومَ وعزمٌ سلَب السيفَ حدَّه والفِرنْدَا
ومضاءٌ فى الحادثات برأيٍ فضحَ الصبحَ نورُهُ وتحدَى
يستمدُّ الإلهامَ من عالِم الغيـ ـب ، وأجدِرْ بمثله أن يُمَدَّا

✡ ✡ ✡

دفع الشعبَ للسبيل فكانت من سَنَا هدْيِه أماناً ورُشدا
مُلهِباً عزمَه إذا اجتاز غوراً مستحِثًّا إذا تسلّق نجْـدا
كلما خار أجزأت بَسمةٌ منْه ، فدَّ الخُطا حثيثاً وجدَّا
ومضى كالقضاء يهوِى لمرما ه جريئا ، مجمَّع القلب ، جَلدا

يَبْهَرَ الصخرَ أن يَرَى منه صَلْداً آدمىٌّ الرُّواء يقرَع صَـلْدا
لا يُبالى ـ إذا سعى للمعالى ـ خبَط الشوْكَ أم توطّأ وَردا !
وفؤادٌ أمامَه خـيرُ هادٍ قاد للغاية البعيدة جُنـدا
كان للمُقدِمين رُوحاً وقلباً ولركب السارين كفّاً وزَندا
لو دعاهم إلى النجوم لساروا خلْفَه يُزْمِعون للنجم قصدا
وإذا اليأس مسّهم كان عَطفاً وسلاماً على القلوب وبَردا
نظرةٌ منه تبعث الأمَل الوا نِى وتُحيي منه الذى كان أودَى

✡ ✡ ✡

كان دِرعاً لمصرَ إن جارَ خَطْبٌ وصِماماً لأمنِها إنْ تعدّى
ساس بالحكمة البلادَ ، فكانت من عوادى الخطوب دِرعا وسدّا
فهو إن شاء صيّر الغِمْدَ سيفاً وإذا شاء صيَّرَ السيف غِمْدَا
قد أعدَّتْه رحمةُ الله للحكـ ـم كريماً مباركاً ، فاستعدّا
ورعى اللهَ فى الرعية والمُلْـ ـكِ ، فوفّى حقّ الإله وأدّى
أينما سرت مَشرِقاً تلقَ شكرا أو توجهْت مَغربا تلقَ حمدا
وإذا الله رام إصلاح شعبٍ سلك القائدُ الطَّريقَ الأسدّا
إنما الناس بالملوكِ ، وأعلى الـ ـمُلْكِ شأواً ما كان حُبا ووُدّا

✡ ✡ ✡

ردَّ بالحزم كلَّ خطبٍ سوى المو ت ، وللموت صولةٌ لن تُرَدا

والفتى فى الحياة رهنٌ عَوادٍ لا يَرَى دونَ مُلْتَقَاهُنَّ بُدّا
حَكَمَ الموتُ فى الأنام فسوّى لم يَدَعْ سيّداً، ولم يُبقِ عبدا
بينما يَسحَقُ النِّمـــــالَ تراه باسطا كفَّه ليقنِص أُسْدا

✡ ✡ ✡

يا مليكى، والحزنُ يطحَن نفسى كلما قلت: خَفَّ، قال: سَأَبْدا!
أينَ عِزُّ المُلْكِ الذى كان للآ مالِ فى سُوحِه مَراحٌ ومَغْدى؟
أينَ تلك الهباتُ للعلم تُزْجَى كلُّ رِفْدٍ فيها يزاحم رفدا؟
أينَ أين القُصَّاد فى ساحة القص ر، وأين الصلات تُعْطَى وتُسْدَى؟
أين ذاك الجبينُ يَنْضَحُ نُوراً أين ذاك الحديث يَقْطُر شَهْدَا؟
قد فقدناه والمُصابُ جليلٌ وجميلُ العَزَاء بالحرِّ أجدى
نحن لله راجعون، وكلٌّ بالغٌ فى مَجَالةِ العُمر حدّا
غيرَ أن الفتَى يغالبه الدَّمْـــعُ، فلا يستطيع للدمعِ صدّا
كلُّ مهدٍ يَصيرُ من بَعْدِ حينٍ ـ قَصُرَ العمر أو تطاول ـ لحدا

✡ ✡ ✡

قد ملأتُ الوجودَ شدواً بمدحيـ ـك، وهل غيرُ مزهرى بك أشدى؟
خالداتٌ من الجلائل أوْلَت شِعْرىَ المُزْدهِى بوصفك خُلدا
كتب الله أن يعودَ رِثاءً وبُكاءً يُدْمِى العيونَ وكَمْدا
قد نظمتَ العُلا قلادةَ درٍّ فنظمتُ الدموع أرثيك عِقْدا

✡ ✡ ✡

أملُ الشَّعب فى خليفتِكَ الفا روقِ أحيَا آمالَه وأجـدَّا
قرأ الشعبُ فى ملامِحـه البُرَّ م سطورَ المُنى ، وأبصر جَـدَّا
ورأى فيـه نَبْعَةَ المجدِ والنُّبْ ل أبًا مُفْرَد الجـلالِ وجَـدّا
لم يجـد للعُلاَ سِواهُ مثيلاً ولبـدر السماء إلاَّهُ نِدَّا
رحمـةُ اللهِ للمليـكِ المُسَجَّى ورعتْ عينُه المليـكَ المُفدَّى

على الجارم